

قضية التنزيه ومسألة الرؤية

اتفق أهل السنة على جواز الرؤية وإمكانيتها ، وكانت لهم فى ذلك أدلة عقلية وسمعية عديدة^(١) . وهى بعيدة عن الحسية أو التشبيه والتمثيل والتخييل .

يمكن تسمية دليل الرؤية هو دليل الوجود ، فكل ما لا تصح رؤيته لا يتقرر وجوده كالعدم ، وكل ما صح وجوده جازت رؤيته ، كسائر الموجودات والله ، عز وجل ، موجود فإذا يجوز رؤيته^(٢) . وهو تصور عقلى للمسألة .

يقول الجوينى : « تقرر بضرورة العقل أن الإدراك لا يتعلق إلا بالوجود ، وحقيقة الوجود لا تختلف ، فإذا رُئى موجود لزم تجويز رؤية كل موجود كما أنه إذا رُئى جوهر ، لزم تجويز رؤية كل جوهر ، وهذا قاطع فى إثبات ما تبغيه^(٣) » . ولكن الله ليس بجوهر ، وليس بجسم فكيف قال الجوينى ذلك ؟

ولعل الجوينى تأثر بما قاله الأشعرى فى الإبانة : مما يدل على رؤية الله ، عز وجل ، وإنما لا يجوز أن يُرى المعدم ، فلما كان الله ، عز وجل ، موجوداً مثبتاً كان غير مستحيل أن يرينا نفسه ، عز وجل ، وإنما أراد مَنْ نفى رؤية الله ، عز وجل ، بالأبصار التعطيل ، فلما لم يمكنهم أن يظهروا التعطيل صراحاً أظهروا ما يؤول بهم إلى التعطيل والجحود^(٤) . وفى كلام الأشعرى غمز لمنكرى الرؤية الحسية أو نفاذ الرؤية مطلقاً .

وإثبات الرؤية عقلاً جائز : « من جهة العقول جائز ، وهى للمؤمنين فى الجنة واجب ، وكما نعرفه اليوم وليس كمثله شئ ، يراه المؤمنون غداً ، وهم فى الجنة وليس كمثله شئ »^(٥) . وهذا كلام أقرب للتفويض ، وترك الأمر للقدره المطلقة وهو صحيح .

(١) الجوينى : الأدلة ، ص ١٠١ - ١٠٥ .

(٢) الشهرستانى : نهاية الأقدام ، ص ٣٥٦ ، وما بعدها .

(٣) الجوينى : الإرشاد ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

(٤) الأشعرى : الإبانة ، ص ٤٢ .

(٥) الشهرستانى : نهاية الأقدام ، ص ٣٦٠ وما بعدها .

وحاول أهل السنة إثبات الرؤية :

١- فى الآخرة ، وهى جائزة عقلاً واجبة نقلاً .

٢- لا تقتضى الرؤية الإحاطة بالمرئى .

٣- الرؤية عيانية وليست قلبية لثبوت ذلك بالنص .

٤- أنكر المعتزلة والزيدية الرؤية بالعين فى الدنيا والآخرة .

ونفى أهل السنة أن تكون الرؤية رؤية إحاطة وإدراك : لا يجوز أن تتعلق به الرؤية على جهة ومكان ومقابلة واتصال شعاع أو على سبيل انطباع ، فإن كل ذلك مستحيل^(١) . وهذا كلام غاية فى التوفيق ويصرح بحقيقة تنزيه الخالق عن مماثلة خلقه .

ومن الأدلة السمعية عند أهل السنة فى ثبوت الرؤية :

١- قول الله تعالى : ﴿وَجُودَ يُؤْمِنُ نَاضِرَةً ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةً ۚ﴾ (٢٢) ﴿أَي رَائِي تَرَىٰ اللَّهَ ، عز وجل^(٣) .

نفى الله الإدراك دون الرؤية ، والإدراك والإحاطة بالمرئى دون الرؤية ، فالله يرى ولا يدرك ، كما يعلم ولا يحاط به علماً^(٤) . وهو كلام يفرق بين الغيب والشهادة لنفى التصورات المادية عن الله .

٢- ومما يدل على أن الله ، تعالى ، يرى بالأبصار قول موسى : ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ (٥) ولا يجوز أن يكون موسى ، عليه السلام ، الذى قد ألبسه الله تعالى جلباب النبیین ، وعصمه بما عصم به المرسلين ، قد سأل ربه ما يستحيل عليه ، وإذا لم يجز ذلك على موسى فقد علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلاً ، وأن الرؤية جائزة على ربنا ، عز وجل^(٦) . وهو يخالف رأى القاسم من الزيدية فى انه عصى ربه فى طلبه ذلك .

(١) الشهرستانى : الملل والنحل ١٤ / ١١٤ .

(٢) سورة القيامة : الآيات ٢٢ - ٢٣ .

(٣) البيهقى : الاعتقاد والهداية ٤ ص ١٢١ .

(٤) المصدر السابق ٤ ص ١٢٢ .

(٥) سورة الاعراف : آية ١٤٣ .

(٦) الأشعرى : الإبانة ، ص ٣٤ ، ٤٣٥ .

٣- قال تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ^(١) . قال أهل التأويل : النظر إلى الله ، عز وجل ، ولم ينعم الله ، عز وجل ، على أهل جنانه بأفضل من نظرهم إليه ورؤيتهم له . وهو أمر غاية في النعيم والسرور والبهجة وهو يشير إلى أن تغير القوانين بين الدنيا والآخرة هو الذى سمح بهذه الرؤية .

٤- روى عن رسول الله ، ﷺ ، أنه قال : «ترون ربكم كماترون القمر ليلة البدر لا تضارون في رؤيته» ^(٢) . والرؤية إذا أطلقت إطلاقاً ومثلت برؤية العيان ، لم يكن لإلارؤية العيان ^(٣) .

السلف وأهل السنة والصفوية يشبتون الرؤية بلا إدراك ، وهو ما يتفق مع ما ذكره القرآن أيضا من كونه تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ ^(٤) وألف ابن تيمية فى تعيين الحد والنهاية والحيز والمكان ، ويرى أن كل هذا لا يقتضى التشبيه والتجسيم ! ^(٥)

نزه أهل السنة الله عن التشبيه عند القول بإثبات الرؤية ، ولكن كان هناك من جوز رؤيته والإحاطة به كالكرامية ، وأحالوا تقدير رؤيته منزهاً عن الجهة ^(٦) .

هل رأى النبى ، ﷺ ، فى رحلة المعراج ؟

اتفق أهل السنة على أنه رأى جبريل ، عليه السلام ، على صورته التى خلقه الله عليها ، ونفوا الرؤية العيانية فى الدنيا ، وهو مذهب السيدة عائشة رضي الله عنها ^(٧) .

من الصحابة من قال بأنه رأى ربه فى الدنيا كابن عباس ، رضي الله عنه ، إلا أن الراى الغالب هو رؤيته لجبريل ^(٨) . وهو ما نرجحه ونعتقده لورود الأخبار عنه ، ﷺ ؛ بأن ذلك أمراً مستحيلاً .

أنكر المعتزلة الرؤية الحسية فى الدنيا والآخرة على السواء ، واعتمدوا على أدلة عقلية

(١) سورة يونس : آية ٢٦ .

(٢) أخرجه البخارى ٢ / ٢٧ - ٢٨ ، وأحمد ٣ / ١٦ ، ١٧ .

(٣) الأشعرى : الإبانة ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٤) سورة الأنعام : ١٠٣ .

(٥) ابن تيمية : الاستقامة ١٤ / ١٥٨ .

(٦) الرازى : المحصل ٤ ص ١٨٩ .

(٧) الباقلانى : الإنصاف ٤ ص ١٨٦ .

(٨) القشبرى : الرسالة ٢٤ / ٦٦٦ .

كثيرة ، وأولوا النص تبعاً لمقتضى العقل وانتهوا إلى القول بأن الرؤية يقتضى الجسمية وهى مستحيلة على الله ^(١) .

إن أهل السنة يثبتون الرؤية فى الآخرة ، والآخرة لها قوانينها الخاصة : « وكما نعرفه اليوم وليس كمثله شئ ، نراه غداً وليس كمثله شئ » ^(٢) .

فالقياص فى الرؤية مع الفارق ، ولا ينبغى أن تقاس رؤية الخالق على رؤية الخلق : « لأن رؤية الله لنا لم تكن بالبصر ، وكلامنا فى الرؤية البصرية » ^(٣) .

وكما أن الرؤية لا تقتضى التشبيه ، فإن القول بأنه لو كان مرئياً لكان شبيهاً بالمرئيات باطل . فالرؤية فى الشاهد تتعلق بالمتضادات كالسواد والبياض والحركة والسكون ، ولا تقتضى تشبيهاً وكذلك رؤية الله ، عز وجل ^(٤) .

واحتج المعتزلة أيضاً بأنه لو كان يرى لرأيناه فى وقتنا لارتفاع الموانع ، والتى حدودها فى القرب والبعد المفرطين والحجب الحائلة ، وخطوهم فى تحديد الموانع فيما سبق فقط ، والرد عليهم يكون بتقدير موانع أخرى ، أقربها مانع فى الحاسة نفسها .

أما من الناحية السمعية :

١- قال تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ ^(٦) يقول القاضى : « ووجه الدلالة فى الآية هو ما قد ثبت من أن الادراك إذا قرن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية ، وثبت أنه ، تعالى ، نفى عن نفسه إدراك البصر ، ونجد فى ذلك تمدهجاً راجعاً إلى ذاته ، وما كان من نفيه تمدهجاً راجعاً إلى ذاته كان إثباته نقصاً ، والنقائص غير جائزة على الله تعالى فى حال من الأحوال » ^(٧) . والسؤال له هل رؤيته لنا كملاً أم نقصاً ؟ فإن كانت كملاً فكيف تعد رؤية العباد له نقصاً !

(١) القاضى عبد الجبار : المغنى ٤٤ / ٥٩ وما بعدها .

(٢) الباقلانى : الإنصاف ، ص ١٨٢ .

(٣) التنفازانى : شرح العقائد النسفية ١٤ / ١٤١ .

(٤) القاضى عبد الجبار : شرح الأصول ٤ ، ص ٢٤٩ .

(٥) الجوينى : الإرشاد ٤ ، ص ١٦٦ .

(٦) سورة الأنعام : آية ١٠٣ .

(٧) القاضى عبد الجبار : شرح الأصول ، ص ٢٣٣ .

لقد افترضوا أن الآية فيها ما يمنع الرؤية على وجه الإطلاق ولكن قوله ، تعالى : ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (٢٣)﴾ (١) فيها تقييد للمطلق ، وتخصيص للعام ، فيحمل نفى الإدراك على أيام الدنيا ، أما الآخرة فلا .

شارك المعتزلة في نفى الرؤية الخوارج والنجارية والزيدية ، وقال النجارية بشئ من الرؤية القلبية (٢) .

وبعد فهذا بحث مبسط في عقائد أهل السنة في تنزيه الخالق أرجو أن يحقق المقصود منه ، وهو مساعدة المسلمين في تصورهم للتوحيد النقي والصافي ، البعيد عن التوهم والتصور الرديء للالهية ، والله الموفق (٣) .

* * *

(٢) سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) الجويني : الإرشاد ، ص ١٦٩ .

(٤) السابق : ص ١٧٠ .